© ٢٠١٥ مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص (٧-ب)، ديسمبر ٢٠١٥م، ص٩٧-١٠٦

منهج التَّعامل مع المسيء للرَّسول: نحو رؤية قرآنية[*]

د. سعد الدين منصور[١] محمد سيف الإسلام[٢]

ملخص

إن أناساً في كل قرن منذ أن أرسل الله حبيبه سيدنا محمد (ﷺ) قد تعرضوا له، وهاجموه هجوما شرسا، وأساءوا إليه، واستهزأوا به وقد ظهر هذا الأمر في العصور المتأخرة في ثوب جديد في أوربا النصرانية بوجه عام والدول الغربية الصليبية بوجه خاص، لقد حرص هولاء على مهاجمة الإسلام وتشويه صورته وتجريح نبيه محمد (ﷺ) بالرسوم المسيئة، وقد قابل ذلك المؤمنون والمنصفون من غير المسلمين بالإنكار والاستهجان. وكان لكل منهم أسلوبه الخاص في التعامل مع الموضوع. فمنهم من تعامل مع أزمة الرسوم بالشجب والاستنكار. ومنهم من كانت المقاطعة هي وسيلته لإدانة هذه الجريمة. ومنهم من رأى أن الزيارة والنقاش بالحسنى هو الأسلوب الأمثل ليدركوا خطأهم، وهذا البحث يتناول الأسلوب القرآني لمعالجة هذا الموضوع.

كلمات دالَّة: المسيء للرسول، الإساءة، الاستهزاء، الإيذاء.

---

[*] How to cite this article: Saad D. M., & M. Saif al-Islam. (2015). "Manhaj al-Ta'āmul Ma'a al-Musī' li al-Rasūl (saw): Naḥwa Ru'yah Qur'āniyyah", QURANICA Special Issue 7b, (2): 97-106.

[١] د. سعد الدين منصور محمد، أستاذ مشارك بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، قسم دراسة القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية.

[٢] محمد سيف الإسلام، طالب في مرحلة الدكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، قسم دراسة القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية.

١ مقدمة

لقد منَّ الله علينا وتفضل بأن أرسل إلينا أفضل رسله وخاتم أنبيائه سيدنا محمد الذي أشرقت عليه أنوار النبوة وأكرمه الله تعالى برسالته، وبعثه إلى خلقه، واختصه بكرامته، وجعله أمينه بينه وبين عباده يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة.

فحقق الله تعالى ببعثة محمد (ﷺ) التوحيد الذي محا الله به الشرك، والنور الذي بعث الله به الحياة كما قال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢). وكانت بعثته (ﷺ) رحمة للعالمين كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) تتحقق بها الرحمة الكاملة التي تصلح معاشهم في الدنيا وبالهم يوم المعاد. وكما جاءت شريعة الإسلام والتي بعث بها محمد (ﷺ) بالتعظيم لأمر الله فقد جاءت بالرحمة لعباد الله.

وقد قضى الله عز وجل وله الحكمة في ذلك بتدافع الحق والباطل، ومن ذلك هؤلاء الشانئون للأنبياء والمرسلين الكارهون لما جاءوا به من الحق المبين لخبث طويتهم وفساد فطرتهم قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ١١٢). فكان من هؤلاء الأعداء من شياطين الإنس والجن وعبر التاريخ كانت لهم حيل وأساليب وأقوال وأفعال مكراً وكيداً يحاولون محالاً في النيل من جناب سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد كفاه الله عز وجل مكرهم وردّ كيدهم في نحورهم. وقد شاهدنا في ٢٠١٢/٩م الميلادي الموافق ١٠/ ١٤٣٣ الهجري ما قام به "سام بسيل" الأمريكي من تخريج فيلم إنجليزي باسم "**براءة المسلمين**" (Innocence of Muslims)، ويصور الفيلم النبي محمد (ﷺ) بأوصاف لا تليق بشأن أحد من أصحابه، فضلاً نبيهم، وأن القرآن ما هو إلا خليط من آيات التوراة، وضعها راهب مسيحي[١]. وكان الفيلم قد أثار موجة احتجاجات كان أبرزها هجوم بقذائف "آر بي جي"

[١] انظر: براءة المسلمين، https://ar.wikipedia.org/wiki/ شوهد ١٠/١٧/ ٢٠١٥م، وشخصية النبي محمد (ص) بين باسيل ومجيدي، بقلم: علي الكاش، http://pulpit.alwatanvoice.com شوهد ٢٠١٥/١٠/١٧م.

استهدف القنصلية الأميركية في بنغازي، مما أدّى إلى مقتل أربعة أميركيين من بينهم السفير [١]، ودعي شعبياً في المواقع الاجتماعية إلى مقاطعة موقع يوتيوب وغوغل لمدة يوميي الاثنين والثلاثاء ٢٤-٢٥ يوليو ٢٠١٢م.

بالمقابل، قام عدد من المسلمين في الغرب باستغلال فرصة هذه الاضطرابات للتعريف بالسيرة النبوية وتوزيع كتيبات تعرف عن بالإسلام والنبي محمد (ﷺ)، وانتشر في المواقع الاجتماعية شعار: "**إلا رسول الله**" وتضاعفت الكتابات التي تتحدث عن الرسول محمد (ﷺ)، وطالب أكثر من زعيم سياسي في الأمم المتحدة وعدد من رجال الدين منهم شيخ الأزهر بوضع قوانين تمنع التعدي على الأديان [٢] ومع مقتل أربعة دبلوماسيين أمريكيين في ليبيا نتيجة مظاهرات تندد بالفيلم، انطلق حوار واسع على المواقع الاجتماعية والفضائيات حول جواز الغضب واجب ولكن الاعتداء على السفارات غير مبرر وأن هذا يخالف الدين من ناحيتين: "لا تزر وازرة وزر أخرى"، و"الرد العنيف يفقد المسلمين الصفة العادلة لقضيتهم"[٣].

وكل ذلك يوجب على العقلاء أن يتنادوا في كل مكان لكفِّ هذه الإساءات بعيداً عن العنف والاعتداء، ولكن بهدي القرآن الكريم القائم على الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، لا بالتي هي أخشن، وأن يستثمروا هذا الحدث لمزيد التعريف بالرسول الكريم وبأخلاقه وشمائله السامية وللعالم مما يجب من عدم الخلط بين مبادئ الإسلام السمحة وبين الإرهاب الظالم.

٢ الدوافع وراء تكرار الإساءة إلى النبي الكريم (ﷺ)

هناك دوافع كثيرة وراء تكرار الإساءة إلى النبي (ص) يمكن تحديدها في الآتي:

أولا: الإساءة إلى رسل الله جميعا سنة من سنن الله القديمة والمتجددة، كل رسل الله أوذوا كما أخبر سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ (الأنعام: ٣٤). فكل رسل الله أصابهم الأذى، والقرآن يعبر عن الإساءة بكلمة الأذى.

---

[١] انظر: احتجاجات وتنديدات بالفيلم المسيء للإسلام، http://www.aljazeera.net/news/arabic/2012/9/13 شوهد ٢٠١٥/١٠/١٧م.

[٢] انظر: براءة المسلمين، https://ar.wikipedia.org/wiki/ شوهد ٢٠١٥/١٠/١٧م.

[٣] انظر: المصدر السابق.

وقد أوذي رسول الله (ﷺ) في نفسه وفي أهله وفي أصحابه وصبّ عليهم ما صب من العذاب قاطعهم المشركون ثلاث سنوات في مكة لا يبيعون لهم ولا يشترون منهم ولا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم حتى أكلوا أوراق الشجر وحتى دميت أشداقهم، وفي تلك المدة لقي الرسول عليه الصلاة والسلام ما لقي من هؤلاء المشركين. وهذه سنة الله القائل في محكم تنزيله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ (التغابن:٢) والكفار أكثر، والمؤمنون دائما أقل من الكفار، وإليه الإشارة في الوحي الرباني: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الأنعام:١١٦). فهذه هي طبيعة الحياة؛ لذلك ليس عجيبا أن يساء إلى رسول الله في عصرنا هذا. والدوافع القديمة هي موجودة بنفسها كما قال القرآن: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (البقرة:١١٨) ما أشبه الليلة بالبارحة، فالدوافع متجددة هي نفس الدوافع القديمة دوافع الإساءة إلى رسل الله وإلى أنبيائه وإلى سيدنا محمد.

والمنافقون أيضا أساؤوا إلى النبي (ﷺ) وآذوه كما قال القرآن الكريم: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: ٦١)، وظلت السورة تقول ومنهم ومنهم تعدد أنواع المنافقين الذين يؤذون رسول الله ويؤذون المؤمنين وهذا أشد أنواع الإيذاء.

ثانيا: عظمة هذا النبي الكريم (ﷺ): وهذه العظمة تدركها الحواس الظاهرة والباطنة وتشهدها عيون البشرية قاطبة إلا عين حاسد وعنيد. فقد رفع الله عز وجل لنبيه (ﷺ) ذكره وجعل الذل والصغار على من خالف أمره وفتح له الفتح المبين وعصمه من الناس أجمعين وكفاه المستهزئين وأعطاه الكوثر وجعل شانئه هو الأبتر وهذا مقرّر في مجمل القرآن وفي سور وآيات، منها سورة الفتح، والشرح، والكوثر. فكلما ازداد المجرمون من هذه المحاولات البائسة ازداد نشر فضل النبي (ﷺ) والتنويه بدين الإسلام مصداقاً لهذه الآيات الكريمة.

٣ منهج التعامل مع المسيئين للرسول (ﷺ) في ضوء القرآن الكريم

هناك مناهج اختارها الناس في التعامل مع الموضوع.فمنهم من تعامل مع أزمة الرسوم بالشجب والاستنكار والمقاطعة. ومنهم من كانت المقاطعة هي وسيلته لإدانة هذه الجريمة. ومنهم من رأى أن الزيارة والنقاش بالحسنى هو الأسلوب الأمثل ليدركوا خطأهم، وغيرها. ولكن الحاجة ماسة إلى التحقيق والبحث في المنهج الذي اختيار القرآن الكريم.

إذا تتبعنا الآيات الكريمة التي وردت فيها الألفاظ المذكورة من الإساءة، والاستهزاء، والتكذيب، والأبتر، والمجنون، والكاهن، والشاعر، والساحر، والإيذاء، وغيرها نجد أنها اشتملت على المناهج التالية:

١–منهج الإعراض والسكوت.

٢–المجادلة بالتي هي أحسن.

٣–استثمار الإساءة لمزيد التعريف بالرسول الكريم وبأخلاقه وشمائله السامية.

٤–الدفاع القولي المفحم مع مراعاة حدود الشريعة.

وفيما يأتي بعض التفصيل للمنهج القرآني في ردّ الإساءة إلى النبي (ص).

أولا: منهج الإعراض والسكوت:

وهذا المنهج نراه كثيرا في القرآن الكريم حيث أساء الأعداء بالرسل ﷺ وورد الوحي للإعراض عنهم أو لاختيار السكوت، كأنه لم يقع شيء، أو وقع ولكن القصد غيره.

قال الله ﷻ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ، وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٩٤ – ٩٨).

واختار القرآن الكريم في هذه الآية منهج الإعراض والسكوت، لأنه لا يضره المستهزئون، وأنْ يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة، وقد فعل الله تعالى، فإنَّه ما تظاهر أحدٌ بالاستهزاء برسول الله (ﷺ) إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة.

وإلى هذا المنهج أرشدنا الله تعالى في آية أخرى حيث قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ (الفرقان:٦٣)، وكما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (القصص: ٥٥)، والسلام هنا ليس إلا الإعراض عن الجاهلين، لا مقابلة الجهل بمثله.

وقال الله ﷻ أيضا: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأنعام: ٣٤). وفي "هذه تسلية للنبي (ﷺ) وتعزية له فيمن كذبه من قومه، وأمر له بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ووعد له بالنصر كما

نصروا، وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة، بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البليغ، ثم جاءهم النصر في الدنيا، كما لهم النصر في الآخرة"[١].

وسيرته (ﷺ) العطرة شهدت لهذا المنهج كما أخرج النسائي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال لأصحابه: «أَلاَ تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ»[٢].

فالذي نستفيد من الحديث أن كان كفار قريش على عهد النبي (ﷺ) يدعونه (مذمم) مكان اسمه (محمد) ويظنون بذلك أنهم يسبونه فطمأن النبي أصحابه بقوله: «إنما يشتمون مذمما وأنا محمد. »..أي كأنهم يشتمون شخصا آخر غير جناب النبي الكريم.

وهكذا نجد الله سبحانه وتعالى قد بين لنا هذا المنهج في القرآن الكريم في آيات أخر، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأنعام: ١٠)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (الأنبياء: ٤١) وغيرها من الآيات.

وقال الله ﷻ: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٢ — ٥٥). أي فأعرض يا محمد عنهم فلا لوم عليك ولا عتاب، لأنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة، وبذلت الجهد في النصح والإرشاد[٣].

ثانيا: المجادلة بالتي هي أحسن:

وهذا من أهم الأساليب الدعوية التي نحتاجه في عصرنا هذا، وقد علمنا الله ﷻ هذا المنهج في كثير من الآيات القرآنية، كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ (الصف: ٥) أي: لم توصلون الأذى إلي وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من

---

[١] المصدر السابق، (٣/ ٢٥٢).

[٢] المصدر السابق، كتاب المناقب، بَابُ مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) "، ج٤، ص ١٨٦، رقم (٣٥٣٣).

[٣] الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م، ج٣، ص ٢٤٠.

الرسالة؟. فقد جادلهم موسى بكلام لين وبأسلوب جيد، ولم يشتمهم ولم يهاجمهم، بل أخبرهم بما جاء به. وفي هذا تسلية لرسول الله (ﷺ) فيما أصاب من الكفار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر؛ ولهذا قال ﷺ: «رحمة الله على موسى: لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر»[١]، وفيه نهي للمؤمنين أن ينالوا من النبي (ﷺ) أو يوصلوا إليه أذى، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾(الْأَحْزَابِ: ٦٩)"[٢].

وكما في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ١٠٥ – ١٠٩).

وهذه الآيات الكريمة مثل التي سبقت ترسم لنا صورة حية ومنهجا دقيقا في معالجة موضوع الإساءة بالأسلوب الحكيم والرد الجميل، فكلما يزداد إساءتهم وشرهم تجاه الأنبياء – عليهم الصلاة والتسليم- يزداد لطفهم بهم وتلين كلمات خطابهم لهم.

وهذا النموذج الفريد في محاورة موسى لفرعون وقومه: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ، قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ، قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ، قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (الشعراء: ٢٣ – ٢٧)، وهكذا يتجاهل موسى شتيمة فرعون ويتجه إلى هدفه المباشر، وحين بدأ فرعون ينتقل من الشتيمة إلى التهديد أجابه موسى بقوله "أولو جئتك بشئ مبين" إنها الحجة والبينة حتى في مواجهة التهديد، لأن أصل دعوة الأنبياء ما كانت لمقاضاة الناس وإقامة الحكم عليهم، بل لإرشادهم وإنقاذهم وتحقيق الرحمة الشاملة لهم.

ثالثا: استثمار الإساءة لمزيد من التعريف بالرسول الكريم وبأخلاقه وشمائله السامية

إن هذا المنهج لا يأتي إلا بالخير للمسيئين ولغيرهم، وفتح الباب لهم لمزيد التعريف بالرسول الكريم وبأخلاقه وشمائله السامية. وقد نزل القرآن الكريم بهذا المنهج الفريد ودل عليه بوضوح، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ

---

[١] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي (ص) يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، ج٤، ص٩٥، رقم (٣١٥٠).

[٢] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٨، ص ١٠٩.

الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: ٦١).

قال الإمام ابن كثير (ت٧٧٤هـ): "ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله (ﷺ) بالكلام فيه ويقولون: ((هو أذن)) أي: من قال له شيئا صدقه، ومن حدثه فينا صدقه، فإذا جئنا وحلفنا له صدقنا.

رابعا: الدفاع المفحم المباشر الذي لا يصل إلى الاعتداء

جاء الأسلوب القرآني في بعض الحالات أسلوبًا حجاجيًا مفحمًا للذين يؤذون النبي (ﷺ). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ (الصافات: ٣٦)، وجاء المنهج الإلهي بأسلوب جميل قائلا: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٣٧ – ٣٩). وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الحاقة: ٤٠ – ٤٢).

وجاء المنهج الإلهي بأسلوب متين، سبباً لدخول سيدنا عمر ﷺ في الإسلام وهدايته له. وكذلك كلمة "**شاعر**" كما جاء الأسلوب الرباني بتذكيرهم ورد قولهم إلى نحورهم.

٤ نتائج البحث

كلّ هذه الآيات القرآنية التي ذكرناها في بحثنا هذا، وغيرها والتي لم نذكرها في موضوع الإساءة إلى النبي (ﷺ) من يتتبعها تمعنا وتعمقا من البداية إلى النهاية يجد أن القرآن الكريم عالج هذا الموضوع وأعطانا منهجا كاملا وشاملا لكل عصر وزمان ولكل جنس من أجناس العالم، وهذا هو المنهج الذي طلبه منا ربنا سبحانه وتعالى من خلال قوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون: ٩٦)، وتتفرع منه المناهج الأخرى التي ذكرناها في البحث. وإن المسلمين مأمورون ومطالبون بأن يكونوا كل أحوالهم على هدي النبي (ﷺ) وسنته امتثالاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١)؛ فإنه وفي نطاق ذلك يجب أن يكون استنكار المسلمين لهذه المحاولة الإجرامية وفق ما شرعه الله عز وجل في كتابه وسنة رسوله (ﷺ) فلا يجرهم الحنق والغضب إلى أن يتجاوزوا المشروع إلى الممنوع، فيكونون بذلك قد حققوا بعض أهداف المسيئين من حيث لا يشعرون، ويحرم أن يأخذوا البريء بجريرة المجرم الآثم ويعتدوا على معصوم الدم والمال،

أو يتعرضوا للمنشآت العامة بالحرق والهدم، فإن هذه الأفعال هي أيضاً تشوه وتسيء إلى الدين الإسلامي ولا يرضاها الله عز وجل وليست من سنة النبي (ﷺ) في شيء وقد عاب الله عز وجل على الذين يخربون بيوتهم بأيديهم وأمرنا بالاعتبار بحالهم.

ومن هدي النبي (ﷺ) نفسه كما سبق مرارا، أنه كان لا يزيده استهزاء المستهزئين إلا إصراراً على أخلاقه الفاضلة وسجاياه الكريمة عملاً بقوله سبحانه.

هذا، وقد توصل الباحثان إلى بعض النتائج من خلال هذا البحث ومن أهمها:

١-أن يعالج الموضوع بالإعراض والسكوت عليه.

٢-وبالمجادلة بالتي هي أحسن، لا بالتي عي أخشن.

٣-وباستثمار الإساءة لمزيد التعريف بالرسول الكريم (ﷺ) وبأخلاقه وشمائله السامية.

٤-وبالدفاع القولي الشديد المباشر مع مراعاة حدود الشريعة.

ويجب أن يكون عند المسلمين الوعي التام بأن هذه المحاولة الآثمة المجرمة ليس القصد منها الإساءة إلى جناب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فإنهم لن يضروه شيئاً.

٥- المصادر والمراجع

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني. (١٣٩٩هـ - ١٩٩٧م). النهاية في غريب الحديث والأثر. (د.ط). تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية.

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني.(١٤١٩هـ. ١٩٨٩م). التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م). تفسير القرآن العظيم. (ط٢). تحقيق: سامي بن محمد سلامة، المملكة العربية السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن منظور محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى. (١٤١٤ هـ). لسان العرب. (ط٣). بيروت: دار صادر.

أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء مصر: السعادة، (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م)

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. (١٤٢٢هـ). صحيح البخاري. (ط١). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. مصر: دار طوق النجاة.

روحاني، محمود. (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). المعجم الإحصائي لألفاظ القرآن الكريم. (ط١). مؤسسة الأستانة الرضوية.

الراغب الأصفهانى، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف. (١٤١٢هـ). المفردات في غريب القرآن. (ط١) تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق: دار القلم بالدار الشامية.

الزَّبيدي، محمد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى. (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس. (د.ط). مصر: دار الهداية.

الطهطاوي، محمد عزت. (٢٠٠٥هـ). لماذا أسلم هولاء قساوسة ورهبان وأحبار مستشرقون وفلاسفة وعلماء. (ط١). مصر المحروسة: مكتبة الناذة بالجيزة.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. (د.ت). جمهرة الأمثال. (دط). بيروت: دار الفكر.

الكبيسي ، محمد عياش. (د.ت). منهجية التعامل مع ظاهرة الرسوم المسيئة. (د.ط). http://www.jadidpresse.com وقد شوهد في ٢٠١٥/٠٨/١٣م.